وقفات رمضانية

رمضان شهر الدعوة

نحمدك اللهم أن هديتنا سُبُلَ الفلاح، ونستعين بك على إعلاء كلمة الحق والدعوة إلى الصلاح، ونصلي ونسلم على نبيك محمد الذي أنزلت إليه قرآناً عربياً، وعلى كل من دعا إلى سبيلك مخلصاً تقياً.

أما من زاغ عن الهدى، واتخذ من المضلين عضداً فإليك إيابه، وعليك حسابه، أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله لمن أوجبِ الواجبات، وأهم المهمات، وأعظم القربات. وإن شهرَ رمضانَ لفرصةٌ سانحةٌ، ومناسبة كريمة، وأرضٌ لنشر الدعوة خصبةٌ، ذلكم أن القلوب في رمضان تخشع لذكر الله، وتَستعد لقبول المواعظ الحسنة، وتقوى بها إرادة التوبة.

والحديث في هذه الليلة سيدور حول الدعوة إلى الله من حيث مفهومها، وفضائلها وآدابها، وما يدور في فلكها.

أيها المسلمون الكرام: الدعوة إلى الله – عز وجل – تشمل كلَّ ما يُقصد به رفعةُ الإسلام، ونشرُه بين الناس، ونفيُ ما علق به من شوائب، وردُّ كل ما يغضُ من شأنه، ويصرف الناس عنه.

والدعوة إلى الله تشمل كل قول، أو فعل، أو كتابة، أو حركة، أو سكنة، أو خُلق، أو نشاط، أو بذْل للمال، أو الجاه، أو أي عمل يخدم الدين، ولايخالف الحكمة.

ولا ريب أن العلم هو مرتكز الدعوة، وهو أساسها، ودليلها، وقائدها.

ولكن الدعوة تحتاج مع العلم إلى كثير من الجهود التي مضى شيء منها؛ فكل يعمل على شاكلته، وقد علم كل أناس مشربهم.

أيها الصائمون الكرام: لقد جاءت نصوص الشرع آمرةً بالدعوة، منوهة بشأنها، محذرةً من التخاذل في تبليغها، مبينةً فضائلها، والأجورَ المترتبةَ عليها.

ولقد جاءت النصوص في ذلك الصدد على وجوه شتى، وصيغ متعددة.

فجاءت بصيغة الأمر بالدعوة بصريح لفظها قال – تعالى –: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ» «النحل: 125» وقال: «إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ» «الرعد: 36».

وجاءت بصيغة الأمرَ بالمعروف، والنهي عن المنكر قال تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ».

وجاءت بصيغة التبليغ قال الله – تعالى –: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» «المائدة: 67».

وجاءت بصيغة النصح قال – عز وجل –: «إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِه» «التوبة: 91».

وجاءت بصيغة التواصي قال الله – تعالى –: «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» «العصر: 3».

وجاءت بصيغة الوعظ قال – سبحانه –: «قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ» «سبأ: 46».

وجاءت بصيغة التذكير، قال الله – عز وجل –: «وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» «الذاريات: 55».

وجاء بصيغة الإنذار، قال الله – تعالى –: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» «الشعراء:214».

وجاءت بصيغة التبشير قال – تبارك وتعالى –: «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» «التوبة: من الآية112»

وجاءت بصيغة الجهاد قال – عز وجل –: «فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً» «الفرقان:52».

وجاءت بصيغة التحذير من التولي عن الدعوة، ونصرة الدين قال – عز وجل –: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ» «المائدة: مَن الآية54»

أما فضائل الدعوة وثمراتها التي تعود على الأفراد بخاصة، وعلى الأمة بعامة – فلا تكاد تحصى، وأدلة الوحيين مليئة بذلك، متضافرة عليه.

فالدعوة إلى الله طاعة لله، وإرضاءٌ له، وسلامةٌ من وعيده.

والدعوة إلى الله إعزازٌ لدين الله، واقتداءٌ بأنبيائه ورسله، وإغاظةٌ لأعدائه من شياطين الجن والإنس، وإنقاذٌ لضحايا الجهل والتقليد الأعمى.

والدعوة إلى الله سبب في زيادة العلم والإيمان، ونزول الرحمة ودفع البلاء، ورفعه.

وهي سبب لمضاعفة الأعمال في الحياة وبعد الممات، وسبب للاجتماع والألفة، والتمكين في الأرض.

والدعوة إلى الله أحسنُ القول، فلا شيء أحسن من الدعوة إلى الله «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» «فصلت:33».

وهداية رجل واحد خيرٌ من الدنيا وما عليها، والدعاةُ إلى الله هم أرحمُ الناس، وأزكاهم نفوساً، وأطهرهم قلوباً، وهم أصحابُ الميمنة، وهم ورثة الأنبياء.

أيها الصائمون الكرام: هناك صفات يحسن بالداعي إلى الله أن يتصف بها – سواء كانت دعوته فردية أم عامة – فمن ذلك: العلمُ، والعملُ بالعلم، والإخلاصُ، والصبرُ، والحلمُ، وحسنُ الخلق، والكرمُ، والإيثارُ، والتواضعُ، والحكمةُ، والرحمةُ، والحرصُ على جمع الكلمة على الحق.

أيها الصائمون الكرام: هذه هي الدعوة إلى الله، وتلك فضائلها، وآداب أهلها؛ فحريٌّ بنا أن نكون دعاة إلى الله؛ كلٌّ بحسبه، فهذا بعلمه، وهذا بماله، وهذا بجاهه، وهذا بجهده؛ لنحقق الخيرية ولنسلمَ من الوعيد.

فيا طالب العلم هذا شهرُ رمضانَ فرصةٌ عظيمة للدعوة إلى الله، فهاهي القلوب ترق، وها هي النفوس تهفو إلى الخير، وتجيب داعي الله؛ فهلا استشعرت مسؤوليتك، وهلا استفرغت في سبيل الدعوة طاقتك وجهدك، وهلا أبلغت وأعذرت، ورفعت عن نفسك التبعة!!.

ويا من آتاه الله بسطةً في المال: ألا تؤثر الدعوة إلى الله بجانب من مالك، فتساهم في كفالة الدعاة، وإعدادهم، وتشارك في طباعة الكتب النافعة، ونحو ذلك مما يدور في فلك الدعوة، ألا تريد أن تدخل في زمرة الدعاة إلى الله.

ويا من آتاه الله جاها: ألا بذلته في سبيل الله، ألا سعيت في تيسير أمور الدعوة إلى الله؟.

ويا أيها الإعلامي المسلم أيًّا كان موقعُك ألا يكون لك نصيب في نشر الخير، والدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة، والطرح البناء، أما علمت أنك ترسل الكلمة أو تعين على إرسالها، فتسير بها الركبانُ، وتبلغ ما بلغ الليل والنهار؟ أما علمت أن لك غُنْمَها، وعليك غُرْمَها؟

الأواخر بدليل أنهم رأوا الهلال وهذا لا يكون الا في آخر الشهر. وأيضا شدة حرص الصحابة على الاقتداء به. وأيضا أن المراد بالاطعام والسقاء ليس هو طعاما وسقاء حقيقيا «بل المراد ما يغذيه الله لنبيه من معارف وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه وتنعمه بحبه والشوق اليه وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلب ونعيم الروح وقرة العين وبهجة النفوس والروح والقلب بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه حتى يغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمن وكما قيل

لها أحاديث من ذكرك تشغلها
عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به
ومن حديثك في أعقابها حادي
اذا شكت من كلال السير أوعدها
روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني، ولا سيما المسرور الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قرت عينه بمحبوبه، وتنعم بقربه، والرضى عنه، وألطاف محبوبه وهداياه وتحفه تصل اليه كل وقت، ومحبوبه حفي به، معتن بأمره، مكرم له غاية الأكرام مع المحبة التامة له، أفليس في هذا أعظم غذاء لهذا المحب؟ فكيف بالحبيب الذي لا أجل منه وأعظم، ولا أجمل ولا أكمل ولا أعظم احسانا اذا امتلأ قلب المحب بحبه، وملك حبه جميع أجزاء قلبه وجوارحه وتمكن حبه منه أعظم تمكن، وهذا حاله مع حبيبه، أفليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا؟ ولهذا قال «اني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني» ولو كان ذلك طعاما وشرابا للفم، لما كان صائما فضلا عن كونه مواصلا» اهـ كلام ابن القيم من الزاد

ترى أيه الأحبة: لماذا يفعل رسول الله كل هذا؟

انه يطلب تلك الليلة الزاهية، تلك الليلة البهية، ليلة القدر، ليلة نزول القرآن، ليلة خير من ألف شهر.

نعم انها ليلة القدر: التي من قامها ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (كما في البخاري من حديث أبي هريرة).

انها ليلة القدر التي ان وفقت لقيامها كتب لك كأنك عبدت الله أكثر من (83) عاما.

انها ليلة القدر: ليلة عتق ومباهاة، وخدم ومناجاة، وقربة ومصافاة.

وآه لنا أن فاتتنا هذه الليلة.

وا حسرتاه ان فاتتنا ليلة القدر.

وكيف لا يتحسر من قد فاتته المغفرة،من فاته عبادة أكثر من ثلاث وثمانين عاما، ان من تفوته فهو المحروم، وهو المطرود.

عند ابن ماجة (قال في صحيح الترغيب والترهيب: حسن) (ان هذا الشهر قد حضركم فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها الا محروم) انها ليلة القدر التي كان رسولنا يحث الصحابة على التماسها حثا شديدا.

أيها الأحبة:

ان ادراك ليلة القدر– والله – لهو أمر سهل – على من سهل الله عليه – وما ذاك ألا بأن نقوم العشر الأواخر كلها وبهذا نضمن ادراك ليلة القدر باذن الله.

أيها الأحبة:

ان قيام الليل هو دأب الصالحين وشعار المتقين وتاج الزاهدين، كم وردت فيه من آيات وأحاديث، وكم ذكرت فيه من فضائل، فكيف اذا كان في رمضان، وفي العشر الأواخر منه حيث ليلة القدر.

ماذا فاته من فاته قيام الليل، أما لكم همة تنافسون الحسن والفضيل وسفيان.

أما لكم همة كهمة التابعي أبي ادريس الخولاني حيث كان يقوم حتى تتورم قدماها ويقول: والله لننافسن أصحاب محمد على محمد صلى الله عليه وسلم وحتى يعلموا أنهم خلفوا وراءهم رجالا.

يا أيها الراقد كم ترقد

قم يا حبيبا قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته
حظا اذا هجع الرقد
من نام حتى ينقي ليله
لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقي
قنطرة العرض لكم موعد
آه يا مسكين لو رأيت أقواما تركوا لذيذ النوم ففازوا بليلة القدر فهم في قبورهم منعمين، وغدا بين الحور العين جذلين، وفي الجنان مخلدين.
آه لو رأيت من ترك قيام الليل، فهو في قبره ما بين حسرة ولوعة.
يا عبد الله اهجر فراشك، فان الفرش غدا أمامك
اهجر فراشك جوف الليل وارم به

ففي القبور اذا فوافيتها فرش
ما شئت ان شئتها فرشا مرقشة
أو رمضة فوقها السمومة الرقش(الأفاعي)
هذا ينام قرير العين نائما
وذا عليه سخين العين ينتهش
شتان بينهما وبين حالهما
هل يستوي الري في الأحشاء والعطش
قاموا ونمنا وكل في تقلبه
لنفسه جاهدا يسعى ويجتوش
ألئك الناس ان عد الكرام فهم
وان ترد دبشا فنحن ذا دبش
فيا عبد الله
ان أردت لحاق السادة، فاترك مخاللة الوسادة.
يا ثقيل النوم: أما تنبهت، الجنة فوقك تزخرف، والنار تحتك توقد، والقبر الى جنبك يحفر، ولربما يكون الكفن قد جهز.
يا عبدالله:
أمامك الجواهر والدرر، أمامك ليلة القدر، فعلاما تضيع الأعمار في الطين والمدر.
يا طويل النوم:
بادر قبل أن يفوتك (تتجافى جنوبهم) فتأتي يوم القيامة فلا تجد (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين).
فيا أخي: والله ان العمر كله قصير، فكيف بعشر ليال.
الا تستحق ليلة القدر أن نضحي من أجلها بعشر ليال فقط.
غدا يا عبدالله عندما يوفى الناس أعمالهم تحمد قيامك وصيامك.
غدا يا عبدالله تفرح بتهجدك وصلاتك، حين يتحسر أهل الغفلة.
اللهم انا نسأل أن تجعلنا من من يوفق قيام لليلة القدر وأنت أكرم الأكرم.